كعب الأحبـــار

هو الصهيوني الأول

للأستاذ محمود أبو رية

[نشر الأستاذ سعيد الأفغاني أن الصهيوني الأول هو عبد الله بن سبأ الذي تظاهر بالاسلام على عهد عثمان . وإنا على احترامنا لما نشر الأستاذ الأفغاني نبين أن الصهيوني الأول فيما حققناه هو (كعب الأحبار) ذلك الكاهن اليهودي الذي أسلم على عهد عمر خداعاً ونفاقاً ، وكان أول من أرسل الصهيونية (بالصهيونية) في بيت المقدس ، ولكن الفاروق فطن لهذه الدعوة الخبيثة وقضى عليها . ولما وجد أن عمر صخرة عاتية تحول بينه وبين ما يريد بالاسلام من كيد ، أخذ مع جماعة من فارس يأمرون به ليقتلوه . ولما اندك حصن الاسلام بقتل عمر أرصد مكره ودهاءه لما أسلم من أجله ، فأنشأ بيت من إفكه — ما شاء أن يبث — في تفسير كتاب الله وأحاديث رسوله . وإنا نكشف هنا عن حقيقة هذا الحبر الذي لا يزال يظفر بثقة المسلمين ، ويعتبرونه من خيار التابعين ، حتى يكون الناس على بينة من أمره ، ويعرفوا مبلغ ضرر هؤلاء اليهود الذين تظاهروا بالاسلام وانطوت قلوبهم على غيره]

لما قويت شوكة الدعوة الإسلامية واشتد ساعدها لم ير الذين كانوا يقفون أمامها ، ويصدون عن سبيلها ، إلا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع ، بعد أن عجزوا عن النيل منها بوسائل القوة والنزاع .

ولما كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، لأنهم يزعمهم شعب الله المختار فلا يعترفون لأحد من غيرهم بفضل ، ولا يقرون لنبي بعد موسى برسالة ، فإن رجالهم وأحبارهم لم يجدوا بعد أن غلبوا على أمرهم ، وأخرجوا من ديارهم ، إلا أن يستعينوا بالمكر ويتغلبوا بالدهاء لكي يصلوا إلى مايبتغون . وهداهم المكر اليهودي إلى أن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم على غيره حتى يخفى كيدهم ويجوز على الناس مكرهم . وكان أقوى هؤلاء الدهاة (كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سبأ) فاستعملوا بإسلامهم واندسوا بين المسلمين مظهرين عبادتهم وتقواهم . ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت وأن المسلمين قد اغتروا بهم وسكنوا إليهم ، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين في صميم دينهم فيدسون فيه ما يريدون من أساطير وخرافات وأوهام لكي يهي هذا الدين ويضعف . ولكي يحكم هؤلاء الدهاة أمرهم كانوا يزعمون تارة أن هذه المفتريات من كتابهم ويدعون أخرى أنها من مكنون علمهم ، وما هي في الحقيقة إلا من مفترياتهم ، وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من كلامهم ، وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التي هي لغة كتبهم ، ومن جهة أخرى فإنهم لا يجارونهم في دهائهم ومكرهم . وبذلك كان الصحابة ومن تبعهم يأخذون كل ما يبثه هؤلاء الدهاة بغير بحث ولا نقد معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه .

وإنا نلم هنا بطرف صغير من تاريخ زعيم هؤلاء الدهاة وشيخهم وهو (كعب الأحبار) وهو الذي نسوق من أجله هذا الحديث .

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميري من آل ذي رعين ، وقيل من ذي الكلاع — من اليمن — كان من أحبار اليهود وعرف بكعب الأحبار ، أسلم على عهد عمر على الراجح وسكن المدينة في خلافة عمر وتحول إلى الشام في زمن عثمان فسكنها ومات بحمص سنة ٣٤ هـ .

وقد استصفاه معاوية وجعله من مستشاريه لكثرة علمه كما كانوا يقولون عنه أو كما زعم هو في قوله « ما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزل الله على موسى ، ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة !!! »

وقد اغتر به الصحابة ومن بعدهم فرووا عنه وسموا منه ، وكان أكثر من روى عنه من الصحابة أبو هريرة الذي كان كذلك أكثرهم تحديثاً عن النبي ، ذلك بأن هذا الكاهن سلط عليه قوة دهائه لكي يستحوذ عليه وينيمه ليلقنه كل ما يريد . ومما اتخذه من أساليب المكر والخداع ليطويه تحت جناحه أن قال فيه كما روى الذهبي : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة ! !

(١) على أنه قد دفن بحمص فان له قبراً يزار بالقاهرة بحي الناصرية قائم بمسجد يسمى باسمه .

سبب اسلامه :

وضع هذا الكاهن لإسلامه سبباً عجيباً فقد أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : قال العباس ما منعك أن تسلم فى عهد النبى وأبى بكر ؟ فقال إن أبى كتب لى كتاباً من التوراة فقال اعمل بهذا وختم على سائر كتبه ، وأخذ علىّ بحق الوالد على الولد أن لا أفض الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبى غيب عنى علماً ففتحتها فإذا صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلماً !

وروى عبد الله بن عمر أن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب فقال له : إن فلاناً الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة ! فقال كعب هاتها ، فقال له الرجل : إنه يقول لك ألم تكن سيداً شريفاً مطاعاً ؟! فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة محمد ؟ فقال له كعب أتراك راجماً إليه ؟ قال نعم ! قال فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك ! وقل له : يقول لك ، أسألك بالذى فلق البحر لموسى ، وأسألك بالله الذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شىء !! ألست تجد فى كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاث أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة ، وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد !! فإنه سيقول لك نعم ! فقل له يقول لك كعب : اجعلنى فى أى الأثلاث شئت !

كيف فاتوا بمكرودة بالمسلمين :

اتبع هؤلاء الأحبار طرقاً عجيبة لكى يستحوذوا على عقول المسلمين ، وإليك طرفاً من هذه الأساليب :

أخرج الترمذى عن عبد الله بن سلام وهو من أحبار اليهود أنه مكتوب فى التوراة فى السطر الأول « محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه فى الشام » وهذا الذى قاله ابن سلام قد أحكمه الداهية كعب ، فقد روى عنه الدارى : فى السطر الأول محمد رسول الله عبده المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام[1] وفى السطر الثانى : محمد رسول الله أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزل ويكبرون على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ! ويأتزرون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل .

كعب وعمر :

لما أتى كعب إلى المدينة على عهد عمر مظهراً إسلامه أخذ يعمل فى دهاء لما أسلم من أجله ، فكان أول أمر وجه إليه همه أن يفترى الكذب على النبى ، ولكن عمر فطن لكيده فنهاه عن أن يروى عن النبى شيئاً وتوعده بأن يترك الحديث عن رسول الله أو يلحقه بأرض القردة .

وعلى أن عمر رضى الله عنه قد ظل يراقب هذا الداهية بحكمته وحزمه ويتفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته كما جرى ذلك فى قصة الصخرة التى ستعرفها بعد ، فإن شدة دهاء هذا الرجل قد تغلبت على حزم عمر ويقظته فظل يعمل بكيده فى السر والعلن حتى انتهى الأمر بقتل عمر بمؤامرة اشترك فيها هذا الكاهن وجماعة معه منهم الهرمزان ملك خورستان وكان قد جىء به أسيراً إلى المدينة .

قتل عمر :

ذكر السور بن مخرمة[1] أن عمر لما انصرف إلى منزله بعد أن أوعده أبو لؤلؤة جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين (أعهد) فأنت ميت فى ثلاث ليال (رواية الطبرى فى ثلاثة أيام) قال وما يدريك ؟ قال أجده فى كتاب التوراة ! قال عمر : أتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال اللهم لا ، ولكن أجد حليتك وصفتك ، وأنك قد فنى أجلك ! قال ذلك وعمر لا يحس وجعاً ، فلما كان الغد جاءه كعب ، فقال بقى يومان ! فلما كان الغد جاءه وقال: مضى يومان وبقى يوم ! وهى لك إلى صبيحتها ، فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت كبّر ، ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته . ودخل عليه

(١) تخصيص الملك فى الشام على لسان هؤلاء الأحبار إنما كان لغرض سياسى وقد عقدنا له فصلا برأسه فى كتابنا (حياة الحديث المحمدى)

(١) ص ٢٤ ج ٣ تاريخ ابن الأثير .

كعب وقال له : ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيداً وإنك تقول من أين وإلى فى جزيرة العرب ؟ وفى رواية أخرى : لما دخل كعب على عمر قال له « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »

ومما يمتلخ عرق الشك فى أمر تآمر كعب بعمر ما أخرجه الخطيب عن مالك ، أن عمر دخل على أم كلثوم بنت على وهى زوجته فوجدها تبكى ، فقال ما يبكيك ؟ قالت هذا (اليهودى) أى كعب يقول إنك باب من أبواب جهنم! فقال عمر ماشاء الله ! ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ! فقال ما هذا ! مرة فى الجنة ! ومرة فى النار ! فقال : إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها فإذا مت اقتحموا !!

وقد برت يمينه فقد قُتل عمر فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ

فهل بعد ذلك يمترى أحد فى أن كعباً هو رأس مؤامرة قتل عمر !

ولعل المسلمين قد ازدادوا ثقة بكعب بعد مقتل عمر إذ حسبوا أن التوراة كما يزعم فيها علم ما كان وما سيكون وما هو كائن ! ولكن لما كثر كذبه وفشا بهتانه أخذ بعضهم يقابل ما يرويه بالشك فقد روى البخارى أن معاوية قال فيه (إنا كنا لنبلو عليه الكذب ، وقال عنه على (إنه لكذاب) وكذبه كذلك عبد الملك بن مروان .

قصة الصخرة بين عمر وكعب :

لما افتتحت إيلياء وأرضها على يدى عمر فى ربيع الآخر سنة ١٦ هـ ودخل عمر بيت المقدس دعا كعب الأحبار وقال له : أين ترى أن نجعل المصلى ؟! فقال كعب : إلى الصخرة . فقال له عمر: يا ابن اليهودية ، ضاهيت والله اليهودية ، وفى رواية أخرى خالطتك يهودية ! وقد رأيتُك وخَلْقَك نَمْليك !

ولما أخذوا فى تنظيف بيت المقدس من الكناسة التى كانت الروم قد دفنته بها سمع التكبير من خلفه فقال ما هذا ؟ فقالوا كبر كعب وكبر الناس بتكبيره ! فقال علىَّ به فأُتىَ به فقال يا أمير المؤمنين : إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبى منذ خمسمئة سنة ! قال وكيف ؟ فقال إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ! إلى أن وليت فبعث الله نبياً على الكناسة فقال أبشرى، أورى شلم، عليك الفاروق ينقيك مما فيك! وهكذا يلعب بعقول المسلمين .

وقال كعب مرة : « إن الله قال للصخرة أنت عرشى الأدنى وأنها موضع قدم الرحمن . وقد وضع كعب وإخوانه فى فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التى فى الشام أكاذيب كثيرة ملأت مؤلفات .

ما بثه كعب فى التفسير والحديث :

بلغ من دهاء كعب أن جعل بعض الصحابة يروون عنه أحاديث معزوة إلى رسول الله. وفى كتب الحديث فى باب روايا الأكابر عن الأصاغر أن العبادلة الثلاثة[1] وأبا هريرة ومعاوية وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار .

ولا نستطيع أن نسوق هنا كل ما بثه فى تفسير كتاب الله وما رواه من أحاديث عن رسول الله لأنها إذا جردت تملأ مجلدات وإنما نجتزىء ببعض الأمثال :

قال لمعاوية عن ذى القرنين : إنه كان يربط خيله بالثريا .

وقال عن العرش : إنه لما خلق اهتز تعظيما فطوقه الله بحيا لها سبعون ألف جناح ، فى كل جناح سبعون ألف ريشة ، فى كل ريشة سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم، فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر... الخ فالتوت الحية على العرش... وهى ملتوية عليه فتواضع عند ذلك !

وقال الأرضون السبع على صخرة والصخرة فى كف ملك والملك على جناح الحوت والحوت فى الماء والماء على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح وأن قرونها معلقة فى العرش .

وقال : إن لله ديكا عنقه تحت العرش وبرائنه فى أسفل الأرض فإذا صاح صاحت الديكة .

وما قاله كعب لم يلبث أن جاء حديثاً مرفوعا .

---

(١) هم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ابن العاص .